الاتجاه التوليدي في الدراسات اللسانية

نظر تشومسكي إلى اللغة من الداخل، وسعى إلى الوقوف على مقدرة ابن اللغة على استعمال لغته وفهمها [١] ، إن الفكرة الأساسية التي توجّه اللسانيات التوليدية هي صفة الإنتاجية أوالإبداعية أو التوليدية في اللغة، ويقصد بها تشومسكي : إنّ الإمكانات المتوافرة في اللغات الإنسانية تجعل

الناطقين بها قادرين على الإبداع، أي إبداع جمل وتراكيب لم يكونوا قد سمعوا بها من قبل، وهم في الوقت نفسه يمتلكون وعياً لغوياً برعلهم قادرين على فهم التراكيب الجديدة، ويجب على أي انظرية لغوية أن تحدّد الإمكانية التي يمتلكها أبناء اللغة، وتعمد إلى وصف هذه القابلية التي يعمل بها [٢]،

فالمقصود بالتوليدية التي توصف بها لسانيات تشومسكي القدرة على انتاج وتوليد الجمل على وفق قواعد اللغة وأنظمتها. وتوصف نظرية تشومسكي في بعض الأحيان بالنظرية التحويلية، ويقصد بالتحويل ما ينبثق عن الجملة الأصل (النواة) من جمل متباينة من ناحية التركيب، وذلك من خلال تطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر، فعلى سبيل التمثيل جملة (كان محمد حاضرا)، حملة تحويلية حصلت التحويل فيها من خلال زيادة (كان) على الجملة الأصل (محمد حاضر)، فالتحويل يتصل من طريق الزيادة أو الحذف أو التقديم والتأخير وكل ما يمكن أن يطرأ على الجملة الأصل ويؤدي إلى إحداث تغيير في ظاهرها. لقد أدّت فكرة الإبداعية التي قال بها تشومسكي إلى بروز مفهومين مترابطين في اللسانيات التوليدية، أحدهما ذهني خالص سماد (القدرة اللغوية competence)، والآخر بارز وظاهر سماد الأداء اللغوي performance)، ويعني المصطلح الأول والإمكانية اللغوية التي يمتلكها المتكلم والتي تمكنه من التعبير عن نفسه والإتيان بعدد لانهائي من الجمل، وتتضمن القدرة اللغوية مهارات ذهنية متعددة، لعل أهمها ((التصوّر ثم التنظيم الذي يجعل كلامنا منظماً ثم التتابع الذي يجعل المهارات الذهنية قادرة على البقاء والاستمرار ثم الاستدعاء، الذي يجعلنا قادرين على انتقاء التعبير المناسب لكل موقف ثم التقويم الذي يجعلنا نحكم على سلامة

---

(١) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة ٣٤٤.

(٢) ينظر: اللسانيات المجال والوظيفة ١٧٤، والمقارنة والتخطيط في البحث اللساني ١٧.

لغتنا أو خطئها)) [١] أما الأداء اللغوي، فيقصد بها الممارسة الفعلية للغة، أو التحقق العيني لهذا التمن اللغوي، أي الكلام المنجز بالفعل، وفيه يحد الأداء الصوتي مع المضمون الدلالي، ويكون حينها الأداء هو الصورة الواعية التي تمثل الصورة المعقولة من اللغة [٢] لقد ركز نشومسكي في تحليله اللساني في القدرة اللغوية دون الأداء اللغوي أو الإنجاز؛ لأنّه يرى أنّ القدرة تتسم بالثبات والشمولية وعدم التأثر بالاعتبارات الصحية والنفسية، على العكس من الإنجاز الذي يختلف من شخص لآخر، وربّما يختلف عند الشخص الواحد بسبب تأثره بعوامل النسيان والإرهاق والخجل، وعاب تشومسكي على البنيويين بناء هم لوصفهم النحوي على أساس الأداء، الذي رأى أنّه تعوزه العمومية والاستقرار[٣] ، وهو أمر سيؤدي فيما بعد إلى توجيه انتقادات حادة الى فرية تشومسكي، ويسهم في بروز التداولية التي تحتفي بالأداء، وتجعله الأساس في تحليلها اللساني. وترتبط ثنائية القدرة والأداء) بثنائية أخرى هي (البنية العميقة deep structure والبنية السطحية surface sructure)، ويقصد تشومسكي بالبنية العميقة والصورة الذهنية للقواعد التي تصاغ منها الجمل، وتعطي هذه البنية التفسير الدلالي للجمل أما البنية السطحية فهي الكلام المادي المتجسد بالفعل، إذ وجد تشومسكي أنّ الظواهر التركيبية مستوى عميقاً خاصاً بها مستقلاً عن المستويات الصرفية والفونولوجية يعمد إلى تقديم التفسير الدلالي للجمل، ومستوى سطحياً يقدم التفسير الصوري لها، وقد نجم عن تمييزه بين هذين المستويين إدخال المكون الدلالي في عملية التحليل اللساني[٤] . ولما كان الإبداع أو الإنتاجية صفة تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية، كان لزاماً على النظرية اللسانية - كما يرى تشومسكي - أن تكون مبنية على مراعاة ما هو مشترك في الذهنية اللغوية عند أبناء اللغات المختلفة، وهو ما أوحي إليه بفكرة (النحو العالمي أو الكلي)، وهي فكرة مركزية في اللسانيات التوليدية، ظلّت ملازمة لتشومسكي في مختلف المراحل التي مرّت به.

---

(١) اللسانيات المجال والوظيفة ١٧٧-١٧٨، وينظر: مدخل إلى اللسانيات ٨٤، وأصول تراثية في علم اللغة ١٨ -١٩، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد ١٥٨.

(٢) ينظر: شظايا لسانية ٦١، ومباحث النظرية الألسنية ١١٠.

(٣) ينظر: شظايا لسانية ٦١، وأهم المدارس اللسانية ٧٧، ومباحث النظرية الألسنية ١١٠.

(٤) ينظر: مباحث في النظرية الألسنية ١١٢.